الباب الثاني عشر
في ذكر جهنم أعاذنا الله منها
وبعض ما سمعناه من الشيخ ﷺ

سمعته ﷺ **يقول:** إن أهل جهنم لا يرون الأشجار والأنهار التي هي قريبة منهم، بل لا يرون إلا ما هو بعيد منهم قدر الأرضين السبع وما بينهن؛ ليزدادوا عذابًا على عذابهم، فيرون على بعد المسافة السابقة في نار جهنم ما هو على صورة الأشجار ولها ثمار وأوراق خضر، فيسرعون إليها؛ ليدفعوا العذاب الذي بهم بأكل ثمارها والدنو منها، فيقطعون المسافة السابقة في نحو ثلاث خطوات استعجالاً، فيأخذون من ثمارها وأوراقها فيجعلونه في أفواههم.

قال ﷺ:وكل ما دخل الفم من جهنم والجنة لا يستطيع العبد إخراجه كما يستطيعه في دار الدنيا، فإذا وقع في فمهم ورق أو ثمر كان أشد عليهم من العذاب السابق، فيرجعون القهقرى فيقطعون المسافة السابقة في نحو خطوة ونصف لما بهم من الحريق، والله أعلم.

وسمعته ﷺ **يقول في نار جهنم:** إنها لا ترى شاعلة نيرة كنار الدنيا؛ لأن النار التي تشتعل تستأنس بها الذات مع الطول فلا تتألم بها ولا ترجع عليها عذابًا، وإن صفة جهنم ظلام محض، وإنه لو أخرج منها قدر الثمرة وفرق جرمه في الهواء حتى يصير في تفريقه مثل الدخان، فإنه لا يظهر فيه الضياء والاشتعال.

قال ﷺ: ولو ملأنا الدنيا نارًا ثم قدرنا أنها ضمت وجمعت جمعًا شديدًا حتى صارت في مثل الصندوق، فإنها ترجع سوادًا محضًا وظلامًا خالصًا.

وسمعته ﷺ **يقول:** في جهنم أودية، وإن المرأة من أهل جهنم تحمل ولدها على ظهرها ذاهبة لنحو الوادي مسيرة المسافة السابقة لشدة العطش النازل بها، وقد بلغت الوادي وكرعت فيه سفهًا هي وولدها.

* **قلت:** كذا سمعت الشيخ ﷺ يقول في ولدها، ولم أسأله عن الولد هل هو من ولادة جهنم حتى يكون فيها تناسل، أو هو من أولاد الدنيا، فإن كان من أولاد الدنيا فقد علمت اختلاف العلماء ﷺ في أولاد الكفار.

وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»(١) لما سئل عنهم، وهو الذي اختاره إمامنا مالك ﷺ فعلى هذا فمن علم منه تعالى أنه لو كبر لآمن بمحمد ﷺ فهو من أهل الجنة، وعليه يحمل حديث جابر بن سمرة في رؤياه ﷺ لأولاد الكفار في الجنة، ومن علم منه تعالى أنه لو كبر لكفر بمحمد ﷺ فهو من أهل النار، وعليه يحمل هذا الحديث، وعليه تتخرج أيضًا قصة غلام الخضر حين قتله مع صغره. وقال العلماء ﷺ إنه مع صغره طبع على الكفر، والعياذ بالله.

وقد سألت الشيخ ﷺ عن هذه المسألة.

فقال ﷺ: الصحيح فيها ما دلَّ عليه هذا الحديث.

وزاد ﷺ **فقال**: وكم صبي يموت صغيرًا ويبعث من حملة كتاب الله ﷻ لأنه تعالى علم أنه لو عاش لقرأ كتاب الله فيبعث من جملة حملته، وكم من صبي يموت وهو صغير فيبعث من جملة العلماء الأولياء، وغير ذلك لعلمه تعالى بأنه إذا كبر كان من تلك الطائفة.

فقلت: وقد وقعت حكاية لبعض أصحابنا وقد ناهز الاحتلام وقرأ القرآن برواية قالون أو قراءة ابن كثير، فذهب لزيارة الولي الصالح سيدي أبي يعزى ـ نفعنا الله به ـ بنية أن يقرأ القرآن بسبع روايات، وكانت له في ذلك نية صالحة وعزم نافذ، فجعل يطلب ذلك من الشيخ المذكور ويؤكد عليه في الطلب.

وقال له: يا سيدي جئتك مسيرة ثلاثة أيام ولا حاجة لي أطلبها منك سوى هذه الحاجة، فلا تخيب طلبتي، فبينما هو كذلك إذ غلبته عيناه، فوقف عليه الشيخ أبو يعزى ﷺ برسم مكتوب على هيئة الإجازة التي يكتبها السبعيون ببلاد المغرب، وفيه خطوط العلماء والقراء بأن الزائر من جملة السبعين، وأنه من حفاظهم.

---

(١) حديث ابن عباس: أخرجه الطيالسى (ص ٣٤٢، رقم ٢٦٢٤)، والبخارى (٦/ ٢٤٣٤، رقم ٦٢٢٤)، وأبو داود (٤/ ٢٢٩، رقم ٤٧١١)، والنسائى (٤/ ٥٩، رقم ١٩٥٢). وأخرجه أيضًا: أحمد (١/ ٢١٥، رقم ١٨٤٥).

حديث ابن عباس عن أبي بن كعب: أخرجه الطيالسى (ص ٧٢، رقم ٥٣٧).

حديث أبي هريرة: أخرجه البخارى (١/ ٤٦٥، رقم ١٣١٨)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٩، رقم ٢٦٥٩)، وأبو داود (٤/ ٢٢٩، رقم ٤٧١٤)، والنسائى (٤/ ٥٨، رقم ١٩٤٩).

فقال له الشيخ أبو يعزى: خذ إجازتك، فأنت من جملة حفاظ السبع، فلما قدم من زيارته مرض ومات ـ رحمه الله ـ ولم يزد في القراءة شيئًا.

فسألني أبوه عن وجه الرؤيا وتأويلها فأجبته بما سبق، ففرح كثيرًا وزال ما به من الغم، والله أعلم.

وانظر الحافظ ابن حجر في «الفتح» في كتاب «الجنائز»، والحافظ السيوطي في «البدور السافرة» لتعلم ما قاله المحدثون والعلماء ﷺ في أولاد الكفار، والله أعلم.

وسمعته ﷺ يقول: إن مالكًا خازن النار ﷺ يراه كل من يمر بالنار مؤمن أو كافر، إلا أن المؤمن يراه ويعلم أنه مخلوق من سر إيمان المؤمن فلا يدهش منه، وأمّا الكافر فإنه يموت منه رعبًا، والله أعلم.

وسمعته ﷺ يقول: إن أضعف كافر له في جهنم قدر الدنيا وعشرة أمثالها في الاتساع.

فقلت: وأين ضيقها؟

فقال ﷺ: من إحاطة العذاب بهم.

فقلت: فلو كان رجل في دار وهو يضرب فيها ليلاً ونهارًا لعلم بالاتساع وترتاح نفسه له، ولا يكون في قلق من يضرب ليلاً ونهارًا في مكان ضيق مثل زجّ الرمح.

فقال ﷺ: لأن الهواء لا عذاب عليه فيه، وهواء جهنم نار خالصة فهو فيها معذب ظاهرًا وباطنًا يتخبط فيها تخبط الدجاج المذبوح، وتارة يستغيث ويصرخ، فلو مر بهم مؤمن وسمع صوتهم حين يستغيثون ويصرخون لتعطلت حواسه كلها، ولا يزيدهم ذلك إلا بعدًا وعذابًا؛ لأن النار تزيد قوتها وحريقها، فهم حينئذ بمنزلة من يأخذ أعواد النار التي في الكانون وينفض عنها الجمر والرماد، فإن النار يزيد اشتعالها في تلك الأعواد، والله أعلم.

وسمعته ﷺ يقول: إن في جهنم دورًا وقصورًا وأبوابًا وأشجارًا وحيطانًا وأودية كحال مدينة من مدن الدنيا، غير أنك إذا أخذت أي جوهر أخذته من أجزائها وأجزاء دورها وقصورها وغير ذلك وجدته نارًا خالصة وعذابًا صافيًا، فالدور والقصور

والأشجار والأودية كلها نار خالصة لو خرج جوهر منها إلى دار الدنيا لأحرقها برمتها.

قال: وإن العبد في دار الدنيا يعمل أعمالاً فتبنى له قصور في جهنم، فإذا تاب من تلك الأعمال أو عمل عملاً صالحًا تقبله الله منه زالت تلك القصور التي بنيت له في جهنم وبنيت له قصور في الجنة.

وحكى لنا ﷺ أن امرأة من المؤمنات كانت حاملة بغوث الزمان، وكان عند جيرانها عرس فذهبت إلى دارهم لتتفرج، فسُرقت حاجة لها قيمة لمولاة العرس، فاتهمت بها تلك المؤمنة وحبستها عن الذهاب إلى دارها، وكان زوجها شريفًا لا يرضى بخروجها من باب الدار فضلاً عن ذهابها إلى دور الجيران، وكانت له نفس أبية، وخافت المرأة المؤمنة أن يعلم زوجها الشريف بخروجها، فكيف بنسبتها إلى السرقة، فكيف بحبسها، فنزل بها من الخوف من زوجها ما لا يعلمه إلا الله، فحصل للحمل ضرر في بطنها فبنيت قصور ودور لتلك المرأة الكاذبة في جهنم، ثم بقيت القصور مبنية إلى أن زاد ذلك الحمل وكبر وماتت أمه ومات أبوه، وأراد أن يتزوج فأعطته تلك المرأة ما أصدقه لزوجته، فأزال الله تعالى قصورها في جهنم، وتقبل الله ﷻ منها بفضله ورحمته ما فعلته مع ذلك الولد، فسبحان من له هذا الملك.

وقال ﷺ: ما يحرك العبد رجله يمدها أو يردها إلا بنى له قصر في جهنم أو في الجنة، ولا يختلج في باطنه عرق حالة نومه إلا بني له قصر في جهنم أو في الجنة، وإذا كان هذا في هذه الأفعال التي لا يقصدها العبد، فما ظنك بالأفعال التي يقصدها وقد نهى عنها الشرع أو أمر بها!

فقلت: وكيف تبنى القصور على الأفعال التي لا تقصد لا سيما أفعال النائم؟

فقال ﷺ: المعتبر في بناء القصور الحالة التي يرجع الشخص إليها عند القصد، فهي السبب في بناء قصوره سواء كان له قصد أو لم يكن له، فالحالة التي يرجع إليها الكافر حالة قصده هي حالة كفره وطغيانه، فهي المعتبرة في بناء قصوره في جهنم على أي حالة صدرت منه أفعاله، سواء صدرت على سبيل القصد أو الغفلة أو حالة النوم، والحالة التي يرجع إليها المؤمن حالة قصده هي حالة إيمانه ومحبته للنبي ﷺ فهي السبب في بناء قصوره في الجنة سواء صدرت منه أفعاله قصدًا أو غفلة أو منامًا، جعلنا الله من المؤمنين ولا أخرجنا من زمرتهم آمين.

* **قلت**: وهذه مسألة جليلة نفيسة طال نزاع العلماء فيها حيث تكلموا على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، فإنهم اختلفوا هل يجري هذا الخلاف في أفعال الكفار المباحة مثل الأكل والشرب ونحوهما.

فقالت طائفة: إنه يجري، وإنه لا مباح عند الكفار أصلاً؛ لأن الإباحة خطاب شرعي من نبينا ﷺ إذ شرائع غيره منسوخة بشرعه، وهم لم يؤمنوا بالنبي ﷺ ويزعمون أنهم غير داخلين تحت شرعه الشريف، فيلزمهم أنهم لم يدخلوا تحت الإباحة الشرعية، وإلى هذا ذهب المحققون منهم كتقي الدين السبكي، وهو الذي كان يظهر لنا صوابه، فتكون أفعال الكفار لعنهم الله بأسرها معاصي وذنوبًا، وعليه كلام الشيخ ﷺ.

وسمعته ﷺ يقول: إنك إذا نظرت إلى جهنم أو الجنة، ونظرت إلى قصور أهلها وبساتينها، وجدت أعمال العباد في الدنيا مرتبطة بتلك النقم أو النعم التي في الآخرة.

ثم حكى لي ﷺ في ذلك حكاية، وقال: نظر بعضهم إلى قصر بعض المؤمنين الأحياء في الجنة، فرأى فيه نعمه تحركت للزيادة وأرادت أن تتهيأ للانتقال من حالة إلى حالة.

قال ﷺ: كحبة العنب إذا أراد أن يجري فيها الماء والحلاوة ثم نظر إلى ذلك المؤمن الذي له القصر فرآه في حانوته يبيع [الثيات][1]، ثم تحرك خاطره وانزعج فقام من حينه وأغلق حانوته وذهب إلى داره.

وقال لأهله: هذا اليوم يوم نفقة وجيراننا لا شيء عندهم.

قال ﷺ: وكان في جيرانه امرأة لها بنات وكن محاويج، فأمرتهن أمهن بالاجتهاد في الغزل لعلهن أن يفرغن في أول النهار، فتبيع ما تشتري به قوتًا لهن حتى تسد أطماعهن عن الخلق.

فقال الجار لامرأته: اصنعي طعامًا لنا ولجارتنا، فأخذت المرأة في تصويبه، وأمرها بالعجلة فيه والإتقان له والإكثار منه، وأخذ [قعبين][2] وخرج إلى السوق وملأهما لبنًا، فلما أكملت المرأة الطعام قسمه نصفين وأخذ نصفًا له والنصف الآخر جعله في آنية وسقاء ثم

---

(١) في (ب): الثياب.

(٢) في (ب): قبين.

حمله بنفسه وحمل أحد [العقبين][1] إلى جيرانه، والبنات مشتغلات بالجد في الغزل وهن جياع، فلم يرعهن إلا وصاحب الطعام يدق الباب عليهن.

وقال: قد علمت أنه لا داخل عليكم في هذا اليوم وأنه يوم نفقة، فهذا ما يكفيكم من الطعام فخذوه وخذوا هذا اللبن، ففرحن بذلك غاية وانصرف، وأكلن وطلبن الله له في القبول، فنظر ذلك الولي إلى تلك النعمة التي تحركت للزيادة، فوجدها قد زادت وانتقلت إلى حالة لا تكيف ولا توصف، هذا والأمر غيب عن صاحب الطعام، والرب ﷻ يحرك عباده فيما يصيرون إليه، والله أعلم.

ـ **وسألته** ﷺ ذات يوم عن بعض أهل الظلم: وقد اشتد طغيانه وعتوه وكرهه الناس وتبرءوا منه غاية.

فقلت: ادع الله عليه.

فقال ﷺ: إنه إلى الآن لم تكمل قصوره في جهنم، و[بقيت][2] له قصور كثيرة ولا يموت حتى يكملها، وقد توفي الشيخ ﷺ وذلك الرجل في قيد الحياة إلى الآن، نسأل الله السلامة، والله أعلم.

ـ **وسألته** ﷺ عن بعض أهل الظلم والطغيان: وقد عزل عن مرتبته وفرح الناس بذلك غاية، فكلمته في ذلك.

فقال ﷺ: أوه يا سيدي، فلان إلى الآن لم يكمل نصابه.

فرد إلى مرتبته ورجع إلى حالته، ولم يزل في قيد الحياة إلى وقتنا هذا، وهو آخر يوم من رمضان سنة ست وثلاثين ومائة وألف، والله أعلم.

وسمعته ﷺ يقول في أرواح الحيوانات التي لا ثواب لها ولا عقاب عليها:

منها: ما يكون في جهنم عذابًا على أهل جهنم.

ومنها: ما يكون في الجنة نعمة لأهلها، فأرواح الكلاب والسباع والذئاب وما

---

(١) في (ب):القبين.

(٢) في (ب):بنيت.

يستقبح من هذه الحيوانات في جهنم إن كانت مع الكفرة في الدنيا، وإلا فلا، والله أعلم.

وسمعته ﷺ يقول وكان اليوم يوم العيد الأكبر: إنه ينزل في هذا اليوم ملائكة لقبض أرواح الضحايا، فيرى على كل بلدة أو مدينة أو موضع يضحى فيه يوم العيد ملائكة كرام يحومون لا ينزلون إلى الأرض إلا في هذا اليوم، فإذا ذبحت الضحية أخذوا روحها وذهبوا إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار.

فإن كانت نية صاحبها صالحة في ذبحها، وأنه لم يرد بها إلا وجه الله خالصًا، ولم يرد بها فخرًا ولا كبرًا ولا رياء ولا خيلاء، أخذوا روح ضحيته وذهبوا بها إلى قصوره في الجنة، فتصير من جملة نعمه التي في الجنة.

وإن كانت نية صاحبها على العكس من ذلك، بأن كانت نيته فاسدة، وعمله لغير الله ﷻ أخذوا روح ضحيته وذهبوا بها إلى جهنم، وتصير نقمة من النقم التي أعدت له في جهنم، وإذا نظرت إلى تلك الروح رأيت كبشًا بذاته وصورته المعلومة بقرونه وصوفه والكل نار حامية، فشعر صوفه كله نار وقرونه نار وذاته كلها نار، نسأل الله السلامة.

وقال لي ﷺ: اذكر هذا الكلام للناس فإنهم في غاية الاحتياج إليه.

فذكرته لجماعة من الناس ـ وفقنا الله وإياهم وجميع المسلمين للنية الصالحة ـ والله أعلم.

وسمعته ﷺ يقول: إن الجني في جهنم لا يعذب في النار الحامية؛ لأنها طبعه فلا تضره، وإنما يعذب بالزمهرير والبرد، والجن في الدنيا تخاف من البرد خوفًا شديدًا، فتراهم إذا كانوا في زمن الصيف وفي الهواء يتخوفون من هبوب الريح الباردة، فإذا هبت فروا فرار حمر الوحش، وأمّا الماء فلا يدخله الجن ولا الشياطين أبدًا، فإن قدر على أحد أن يدخله طفى وذاب كما يذوب أحدنا إذا دخل النار، والله أعلم.

قال ﷺ: وإذا خفي عليك كيف أجسام الجن، فانظر إلى نار مظلمة جدًّا بكثرة دخانها مثل ما يكون في الفخارين، وصور فيها صورهم التي خلقوا عليها، فإذا جعلت الصورة في ذلك الدخان وألبسته إياها فذلك هو الجني، والله أعلم.

وسمعته ﷺ يقول في عذاب قاتلي الأرواح: إنه ليس كعذاب أهل النار.

فقلت: وكيف هو؟

فبينه ﷺ بضرب مثل، **فقال**: لو فرضنا ملكًا له قاعات فيها اليهود والمؤمنون، وله سوران أحدهما يتعلق فيه اليهود والآخر يعلق فيه المؤمنين، ثم إن عصاه واحد من المؤمنين فعلقه في سور اليهود فنعلم أنه أهانه إهانة عظيمة حيث جمعه مع اليهود في سور واحد.

فقلت: بين لنا.

فقال ﷺ: إن في جهنم نارًا حارة وبها يعذب بنو آدم، ونارًا باردة وبها يعذب الشياطين كما سبق بيانه، وقتلة الأرواح بهذه النار يعذبون مع الشياطين.

قال ﷺ: ولا يختص هذا بالقتلة بل بعض العصاة كذلك.

ثم أراد أن يعينهم ويعين الحكمة في تعذيبهم بالنار الباردة، فجاء من قطع الكلام، والله أعلم.

قال لي ﷺ **مرة**: أتدري من أشد الناس عذابًا يوم القيامة؟

فقلت: من هو؟

فقال ﷺ: عبد أعطاه الله ذاتًا كاملة، وعقلاً كاملاً، وصحة كاملة، ومهَّد له في العَيش وأسباب الرزق، ثم يبقى هذا الرجل اليوم واليومين وأكثر ولا يخطر بباله خالقه ﷻ وإذا أمكنته المعصية أقبل عليها بذاته الكاملة وعقله الكامل واستحسنها واستلذَّ بها من غير فكر مشوش عليه من ناحية ربه تعالى، فتجده متصلاً بالمعصية غاية الاتصال، ومنقطعًا عن ربه كل الانقطاع، يميل بكليته وهويته إلى المعصية ويستحليها غاية الاستحلاء، فيكون جزاء هذا يوم القيامة بأن ينقطع إلى العذاب بجميع [سرائره][1] وينساق[2] إليه بالكلية ويقع فيه مرة واحدة.

قال ﷺ: فالغفلة عن الخالق ﷻ ولاسيما في حال المعصية شأنها عظيم وأمرها جسيم فينبغي للمؤمن إذا عصى أن يعلم أن له ربًّا قادرًا عليه، فيحصل له الخوف والوجل فتنكسر بذلك سورة العذاب إن لم يقع بالكلية، والله أعلم.

---

(١) هكذا في النسخة الخطية الثانية، وفي سائر النسخ (شراشره).

(٢) في النسخة الخطية الثانية: (ويتشوق).

[خاتمة النُّسخ]

هذا آخر ما كتبه مؤلفه الفقيه الوجيه، سيدنا ومولانا العالم العلامة، علامة زمانه وفريد أوانه، والجهبذ الفهامة، حامل لواء التحقيق ومالك أزمَّة التدقيق، قدوة الأفاضل وجالي المعاضل، بقية السلف وعمدة الخلف، الجامع بين الحقيقة والطريقة، والمعتصر من جني كل حديقة، سيدي الشيخ أبي العباس شهاب الدين أحمد بن مبارك السجلماسي أصلاً وفخارًا، اللمطي الفاسي وطنًا وقرارًا - رحمه الله تعالى ونفعنا به مما سمعه من شيخه سيدنا ومولانا القطب غوث الزمان سيدي عبد العزيز ابن مولانا مسعود الدباغ الإدريسي الحسني ﷺ وأرضاه ونفعنا بعلومه آمين يا رب العالمين.

سبحانك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين